مجلـــة بدايـــات
Email :bidayat@lagh-univ.dz Revue :Bidayate ISSN: 2676-198X
المجلد:الثاني(02) / العدد: الرابع(04) جوان 2021/ ص ص: 219-230

# الوصف في المنظومة الشمقمقية لابن الونان

# Description in the sunshine system of Ibn Al-Aunan

د: حمزة نايلي دواودة.

**Naili Douaouda Hamza**

المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة العلامة الشيخ مبارك بن محمد إبراهيمي الميلي الجزائري.

hamzanaili078@gmail.com

رقم الهاتف:0542502266

| تاريخ الإرسال: 10-11-2020 | تاريخ التحكيم: 18-04-2021 | تاريخ القبول:05-05-2021 | تاريخ النشر: 21-06-2021 |
|---|---|---|---|

ملخص البحث

المنظومة الشمقمقية لابن الونان هي نص إبداعي ظريف ، جاءت مُلمّة لكثير من فنون الأدب وأخبار العرب في الجاهلية والإسلام وما بعدهما حتى عصر الشاعر ، وقد دلت الأرجوزة على براعة صاحبها وشاعريته وهو يستلهم من منجم أمته الثقافي الغني والينبوع المتفجر الذي ملك عقله وقلبه ، فراح يستعرضه ويثمنه ويجدده ويستثمره ويوظفه توظيفا شعريا جميلا ، فأظهر تمكنا في العلم وتميّزا في الأدب عكسته مختلف الأغراض الشعرية ، ومنها الوصف .

**الكلمات المفتاحية** : النظم العلمي ، النص الشعري ، الأرجوزة، المتن العلمي ، الغرض الشعري.

**Abstract:**

The Shammakqiya system by Ibn Al-Wanan is a creative and funny text, which came to knowledge of many arts of literature and the news of the Arabs in Pre-Islamic Period, and Islam and beyond until the age of the poet. He appreciates it, renews it, invests it, and employs it with a beautiful poetic use. He showed mastery in science and distinction in literature, which was reflected in various poetic purposes.

**Key words:** scientific systems, poetic text, argouza, scientific body, poetic purpose.

## 1.مقدمة :

لطالما أبدع الشعراء في وصف الطبيعة حيث نجدها قد انصهرت في قصائدهم ، فقد نظروا فيها ودققوا لوصفوا كل ما وقعت عليه أعينهم ، فوصفوها ممثلة في حيوانها ورياضها ونباتها وديارها وأطلالها ، وتأملوا في أمطارها وسحبها وبرقها ونورها وظلامها ، كما وصفوا الجبال والرمال والوديان والسيول والبروق والرياح واختلافاتها ، و غير ذلك من الحيوانات ونباتات والجماد ، كما وصفوا مواضع لهوهم و كرّهم ووصفوا المعارك والأسلحة وما اتصل بذلك ، دون أن ننسى المرأة التي كانت أنفس مظاهر الجمال عندهم ، فهاموا بها ووصفوا محاسنها و تقدموا بذكرها في مفاتح الكلام حتى عند الرثاء والفخر فباحوا بما تجيش به صدورهم تجاهها.

**2. مفهوم الوصف** : الوصف جزء طبيعي من منطق الإنسان لأن النفس محتاجة من أصل الفطرة إلى من يكشف لها من الموجودات وما يكشف للموجودات منها ، ولا يكون ذلك إلا بتمثل الحقيقة وتأديتها إلى التصور في طريق من طرق السمع والبصر والفؤاد أي الحس المعنوي ، فالأمم الطبيعية هي أصدق الأمم في وصف الطبيعة لأن سبيل الحقيقة في ألسُنها ، ولأن حاجتها الماسة إليه تجعل هذا الحس فيها أقرب إلى الكمال ، فإذا أضفت إلى ذلك سعة العبارة ومطاوعة اللغة في التصريف- كما هو الشأن عند العرب -كان أجمع للحس وأبدع في تصوير الحقيقة ؛ بما تكثره اللغة من أصباغها ويُجيد الحسن في التأليف بينها وتكوين المناسبات الطبيعية التي تظهرها تلك الألوان المهيأة على حسب هذه المناسبات[1].

والوصف في حقيقته عمود الشعر وعماده ، بل إن كل أغراض الشعر وصفٌ كما قال ابن رشيق القيرواني:" الشعر إلا أقله راجع إلى باب الوصف" [2].

فالمدح وصف فضائل الرجال من خصال حميدة وصفات كريمة مكتسبة كانت أم موروثة ، والغزل وصف النساء وما يكون من شوق وحنين ، والرثاء وصف محاسن الميت ومآثره ، والهجاء وصف السّوءات والمعايب والمثالب القبيحة ، وهكذا نستطيع أن نُدخل جميع فنون الشعر تحت الوصف ، فهو كالدوحة الملتفة الأغصان الفارعة الأفنان المترامية الظلال .

ويتحدث الرافعي عن أهل هذا الفن فيقول : " أما مشاهير الوصافين في تاريخ الأدب جاهلية وإسلاما فهم وإن كانوا يجيدون أكثر الأوصاف لكنهم اشتهروا بأنواع غلبت عليهم الإجادة فيها ، فاشتهر من نُعّات الخيل طرفة و أوس بن حجر وكعب بن زهير والشمّاخ ، وإن كان أكثر القدماء يجيدون وصفها لأنها مراكبهم ، وكان عبيد بن حُصين الراعي النميري أوصف الناس لها ولذلك سمي راعيا ، وأما الحُمرُ الوحشية والقسي والنبل فأوصف الناس لها الشماخ ، ولقد أنشد الوليد بن عبد الملك شيئا من شعره في الحُمر فقال : ما أوصفه لها ! إني لأحسب أن أحد أبويه كان حمارا ، وأما الخمر فمن أوصاف الأعشى والأخطل وأبي نواس ، واشتهر أبو نواس وابن المعتز أيضا بصفة الصيد و الطرد، ولا يذكر مع امرئ القيس في منزلته من اخترع التشبيه إلا ابن المعتز ، وكان ذو الرمة أوصف الناس لرمل وهاجرة وفلاة وماء وقُراد وحية ، وهو رئيس المشبهين الإسلاميين ، وكان يقول : إذا قلت: "كأنّ " ولم أجد مخلصا منها فقطع الله لساني ! وقد اشتهر بوصف الطبيعة الوحشية أيضا أبو عبيدة بن أيوب العنبري ، وكان نافرا من الإنس جوالا في مجهول الأرض فاستغرق ذلك شعره ، ومن الوصافين المتفننين في الأوصاف علي ابن إسحاق المعروف بالرّاجحي وأبو طالب المأموني ، وله أشياء كثيرة فيما يجري مجرى العَويص ، واشتهر كشاجم بآلات المنادمة ، والصنوبري بالروضات ، وابن خفاجة الأندلسي بأوصاف الطبيعة الحضرية ، وابن حمديس الصقلي بأوصاف البرك والمياه والأنهار (...) والوصف باب من الشعر قلما تحسن منه شيئا أو أشياء ، ولكن هؤلاء الذين عددناهم قد ذهب لهم بالأوصاف التي غلبت عليهم الإجادة فيها صيت بعيد وذكر"[3].

**3.التعريف بالمنظومة الشمقمقية :**

الشمقمقية أرجوزة اجتمع فيها ماتفرق في غيرها فنونا وأخبارا ولطائفا وحكما وما اتصل بذلك تصريحا وتلميحا ، دلت على براعة صاحبها الأدبية ومعرفته الموسوعية ، وقد كان أبوه مقربا من السلطان المغربي محمد بن عبد الله العلوي ، وكان شاعرا ظريفا فلقبه بأبي الشمقمق تشبيها له بالشاعر العباسي الكوفي مروان بن محمد ، فلزمته هذه الكنية فكان لا يدعى إلا بها ثم تخطته إلى ابنه ثم إلى أرجوزته فكانت لا تدعى إلا بالشمقمقية ، يقول شوقي ضيف : " وأول منظومات ابن الونان أرجوزة سمّاها بالشمقمية ويقال إنه حاول إن يصل إلى السلطان لينشدها ولم يتح له ذلك ، فترصد مركبه يوما وصعد على ربوة ونادى بأعلى صوته:

**يا سيدي سِبط النبي ** أبو الشمقمق أبي .**

فطلبه السلطان وصحبه معه إلى القصر وأصبح من حاشيته ، والشمقمقية أرجوزة في 275 بيت إستهلها صاحبها بالرحلة في مجاهل الصحراء واصفا ركب النوق الذي كان فيه، وظل في أكثر من أربعين بيتا يحاور حاديها طالبا إليه ألا يكلفها في السير بما لا تطيق جامعا لها في وصفها كثيرا من أوابد اللغة ويصف صاحبة له غي25 بيتا ويورد في وصفها المادي طائفة من الألفاظ الغريبة ، ويقول إن لم يظفر بها فسيشن على قومها غارة بفرسان من خيرة يعرب ، ويسترسل في فخره بآبائه وقبيلته اليمنية في نحو خمسة وثلاثين بيتا ، ويُفضي إلى طائفة كبيرة من الأمثال والحِكم في نحو تسعين بيتا وهي لب الأرجوزة ، ويمدح الشعر وشاعرية أبي الشمقمق ثم يضيف إليها مديحا للسلطان محمد بن عبد الله[4] " .

وقد حظيت الأرجوزة بمكانة خاصة عند المغاربة ، ومن شروحها نذكر :

- زهر الأفنان في شرح حديقة ابن الونان ، لأبي العباس أحمد بن خالد الناصري.
- قطوف الريحان من زهر الأفنان في شرح حديقة ابن الونان(وهو مختصر الشرح الأول) لأحمد بن المختار الجكني.
- شرح الشمقمقية لعبد الله كنون الحسني.
- فتح المنّان في شرح قصيدة ابن الونان لعبد الله محمد بن الفقيه الجيراري السلاوي
- اقتطاف زهرات الأفنان من دوحة ابن الونان للمكي البطاوري.

مع العلم أن هناك شروحا أخرى بعضها مخطوط والآخر مفقود[5] .

**4.التعريف بابن الونان :**

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن الونان المملوكي ، الحِميري النسب التواتي الأصل الفاسي الدار ، شاعر مُجيد مُتقن ، صاحب بيان وقريحة ونباهة وسجية في الشعر قَلّ نظيرها ، وقد كان عارفا بأيام العرب والأنساب والمغازي والسير والتاريخ والأخبار ومختلف الآداب والفنون ، حتى قال عن نفسه :

**وهلْ أنا إلاَّ ابنُ وَنَّانَ الذي ** قَرَّبَهُ كَمْ منْ أميرٍ مُرْتَق**

**أَحَقُّ مَنْ حُلِّيَ بِالأُسْتَاذِ وَالشْ ** شَيْخِ الفقيهِ العالمِ المُحَقِّقِ**

**وبالمُحَدِّثِ الشَّهِيرِ والأَدِيـ ** ـبِ والمُجِيدِ والبليغِ المُفْلِقِ**

**وأَعْلَمُ النَّاسِ بدُونِ مَرِيَّةٍ ** سِيَّانِ مَنْ في مَغْرِبٍ ومَشْرِقِ**

**بالشِّعْرِ والتاريخِ والأمثالِ والْـ ** ـأَنْسَابِ والآثارِ سَلْ تُصَدِّقِ .**

والغريب أننا نكاد لا نعرف عنه شيئا كتاريخ ميلاده أو وفاته أو شيوخه أو تلاميذته أو آثاره سوى هذه الأرجوزة ونُتفا من رسائل نثرية وقطع شعرية ، يقول عبد الله كنون : " لا مبالغة إذا قلنا إن هذا الشخص الذي يكاد لا يجهله أحد من مختلف طبقات المثقفين عندنا صغارا وكبارا فهو قد أحرز شهرة واسعة بحيث لا تسأل عنه متأدبا ولو ناشئا إلا وجدت عنده من أمره خبرا ، ولا مبالغة أيضا إذا قلنا أنه مع ذلك هو الشخص الذي يكاد لا يعرف أحد من حياته قليلا ولا كثيرا ، فهو سر مكنون في أحشاء التاريخ ما زال الباحثون يقنصون آثاره ويستقصون من أخباره ، وحسبك من الجهل به أننا لا نعرف تاريخ ولادته ولا تاريخ وفاته إلا ما ذكره الأستاذ النميشي في وفاته – أي سنة1187 م الموافق ل1773 هـ – (...)

وآثار ابن الونان غير الأرجوزة هي قطع شعرية مدح بها سيدي محمد بن عبد الله ، ورسالة مسجعة كتب بها إلى الشيخ سيدي المعطي بن الصالح صاحب ذخيرة المحتاج ثم أتبعها بشعر في مدحه ، وبيتان في مدح سيدي محمد بن عبد الله ، وثلاث أبيات قالها في ترفعه عن أخذ الزكاة وهذه كلها تجدها في شرح العلامة الناصري للشمقمقية " [6] .

**5.من أشكال الوصف في المنظومة الشمقمقية لابن الونان:**

ونجد وصف الأطلال و الناقة من أكثر مظاهر الوصف في أرجوزة ابن الونان .

**1.5 وصف الأطلال:**

لطالما ارتبط الإنسان شعوريا بمكان منبته وامتداد جذوره ، ولما كانت حياة العربي القديم قوامها التّرحال طلبا لمساقط الغيث ومنابت الكلأ كان لزاما عليه أن يترك بلاده التي قال عنها[7]:

**بلاد بها حلّ الشباب تميمتي ** وأول أرض مسّ جلدي ترابها .**

ويقول ابن الرومي [8]:

**وحبّب أوطان الرجال إليهم ** مآرب قضّوها شبابا هنالك**

**إذا ذكروا أوطانهم ذكّرتهم ** عهود الصّبا فيها فحنّوا لذلك .**

وما أحسن ما قال بعضهم[9] :

***بلاد ألفناها على كل حالة*** ** وقد يُؤلف الشيء الذي ليس بالحسن**

**ونستعذب الأرض التي لا هوا بها ** ولا ماؤها عذب ولكنها وطن.**

وكان العرب إذا أجبرتهم الظروف على الرحيل أخذوا معهم من تراب أوطانهم ليشموه في الطريق ، وربما مزجوه بالماء وشربوه [10]:

**ولا بد في أسفارنا من قبيصة ** من الترب نُسقاها لحب الموالد.**

فكان السعيد فيهم من لم تجبره الظروف أن يترك وطنه ، يقول الفرزدق [11]:

**وكنت فيهم كممطور ببلدته ** يُسر أن جمع الأوطان والمطرا .**

و الحديث عن الأطلال وبكائها في الشعر العربي يحزّ في النفس سؤالا هو : هل الإلتزام بالمقدمة الطللية هو مجرد افتتاحية لقصيدة وسنة أدبية انتهجها الشعراء وتقليدا اصطلحوا عليه؟ أم هو إحساس صادق وشعور عميق و تعبير عن واقع حي عاشه الشاعر وارتبط به نفسيا ؟ .

إن الوقوف على بقايا تلك الديار وبكائها إنما هو بكاء على الزمن الجميل الذي تلاشى واندثر باعتبار الإنسان ابن ماضيه ، وقد رافق ذلك شعورا بالإغتراب والحنين والفراغ الروحي والقلق النفسي والإحساس الحاد بالوحدة والعزلة ، فما الأطلال إلا بقايا وطن أتت عليه الطبيعة بأمطارها ورياحها ، فانعكس ذلك على بقايا إنسان أتى عليه الزمن بالبعد والهجر والفراق ، فوجد في بكاء الأطلال فرصة لاستجماع شضايا الماضي وأبعاده في إبداع فني جميل ليُحييه ويَحييه ، يقول جرير [12]:

**أقول لصحبتي لما ارتحلنا ** ودمع العين منهمر سجام**

**أتمضون الرسوم ولا تُحيا ** كلامكم عليّ إذن حرام .**

لقد جرت محاولات لتفسير ظاهرة الوقوف على الأطلال عند الشاعر العربي ، وتعليل الدوافع التي دفعت الشعراء إلى سلوك هذا المسلك ، فكان من أوائل هؤلاء ابن قتيبة الذي نجده يقول : "مقصد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار ، فبكى وشكا، وخاطب الربع ، واستوقف الرفيق ، ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الضاعنين عنها ، وانتقالهم من ماء إلى ماء وانتجاعهم الكلأ ، وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان ، ثم وصل ذلك بالنسيب فشكا شدة الوجد وألم الفراق وفرط الصبابة والشوق ، ليُميل نحوه القلوب ، ويصرف إليه الوجوه ، وليستدعي به إصغاء الإسماع إليه ، لأن التشبيب قريب من النفوس ، لائط بالقلوب"[13].

فيبكي الشاعر ويشكو ويخاطب الربع ويستوقف الرفيق ليجعل ذلك سببا وبداية مرحلة شعورية لذكر أهلها الضاعنين عنها ، وهي تستعجمه ولا ترد له جوابا كما يقول لبيد[14]:

**فوقفت أسألها وكيف سؤالنا ** صما خوالد ما يبين كلامها .**

وكما قال عنترة[15]:

**لمن طلل بوادي الرمل بالي ** محت آثاره ريح الشمال**

**وقفت به ودمعي من جفوني ** يفيض على مغانيه الخوالي**

**وكيف يُجيبني رسم مُحيل ** بعيد لا يرد على سؤالي.**

فهو وإن كان يعلم يقينا أن الوقوف والسؤال لا يجدي شيئا ، لكن حسبه أن يبعث الشجن ويفيض الدمع ويسلي الهم ، و" يبقى البكاء على الأطلال لحظة حزينة سببها الحنين إلى الإستقرار والمقام الثابت الذي يستطيع فيه أن يقيم بيتا يخلد فيه ذكرياته

ويسترجع ملاعب صباه ، وهو في الواقع لا يواجه ذكرى حبّه فحسب ، وإنما تتداعى في ذاكرته صور شبابه الذاهب ، وهذان الدافعان يكفيان لخلق عاطفة كثيرة في نفسه و جو مناسب يحمله على الحنين ، وقد أصبحت المقدمة الطللية بكل صورها وألوانها تؤدي وظيفة خلق هذا الجو الشعري الذي يمنح الشاعر القدرة على القول لأنه يصبح في حالة معانات شعرية حادة ، تمده بالمشاعر التي تمكنه من التنفيس عن كل ما يحتبس في نفسه من الإحساسات ، ويدور في ذهنه من الأفكار والحوادث ، وهو في نفس الوقت يُهيئ الجو المناسب للمستمع الذي يجد في هذه المعانات شبيها لما يحسه هو ، فينشئ الشاعر بهذه البداية لنفسه ولسامعه وقارئه حالة شعورية مليئة بعواطف الحنين والشوق والاستعداد للإنشاد والاستماع أو المتابعة ، وهذا ما دفع الشعراء إلى التزامها والتقيد بمعانيها والمحافظة على أصولها"[16].

وبالعودة إلى الأرجوزة الشمقمقية نجد ابن الونان قد جاء على ذكر الأطلال وهو يستمهل ويستوقف الحادي الذي ساق معه مجبوبته فغاب معها عقله وفؤاده ، مع عتابه وتحذيره من إتعاب الأينق والخوض بها في مجاهل الصحراء فيقول[17] :

**مَهْلاً على رِسْلِكَ حَادِي الأَيْنُقِ ** وَلا تُكَلِّفْهَا بِمَا لمْ تُطِقِ**

**فطَالَمَا كَلَّفْتَهَا وسُقْتَهَا ** سَوْقَ فَتًى مِنْ حَالِهَا لمْ يُشْفِقِ**

**وَلَمْ تَزَلْ تَرْمِي بِهَا يدُ النَّوَى ** بِكُلِّ فَجٍّ وَفَلاةٍ سَمْلَقِ**

**وَمَا انْتَلَتْ تَذْرَعُ كُلَّ فدْفَدٍ ** أذْرُعُهَا وَكُلَّ قَاعٍ فَرَقِ**

**وَكَلَّ أَبْطَحٍ وأجْرَعٍ وَجِزْ ** عٍ وَصَرِيمَةٍ وكُلَّ أبرَقِ**

ليخلص للحديث عن الديار و الرسوم التي تكثر بها الرياح القوية ، والنباتات التي تقتات بها الإبل والحيوانات البرية التي تعيش في الصحراء فيقول [18] :

**مَجَاهِلٌ تَحَارُ فِيهِنَّ القَطَا ** لا دِمْنَةً لا رَسْمَ دَارٍ قَدْ بَقِي**

**لَيْسَ بها غَيْرُ السَّوَافِي والحَوَا ** صِبِ الحَرَاجِيجِ وَكُلُّ زِحْلِقِ**

**وَالْمَرْخِ وَالعَفَارِ والعِضَاهِ والْ ** بِشامِ والأَثْلِ ونَبْتِ الخَرْبَقِ**

**والرِّمْثِ والخُلَّةِ والسَّعْدَانِ والثْ ** ثَغْرِ وشَرْيٍ وَسَناً وَسَمْسَقِ**

**وَعُشَرٍ ونَشَمٍ وإِسْحِلٍ ** مَعَ ثُمَامٍ وبَهَارٍ مُونِقِ**

**والسِّمْعِ واليَعْقُوبِ والقِشَّةِ والسْ **سَيِّدِ وَالسَّبَنْتَى والقَطَا وجَورَقِ**

**واللَّيْلِ والنَّهَارِ والرِّئْالِ والْ ** هَيْثَمِ مَعْ عِكْرِمَةٍ وخِرْنِقِ**

والملفت للنظر أنه لا يكاد يخلو شطر من غريب اللغة الذي يستغلق على الفهم ، ولا سبيل للوصول للمعنى إلا باستقصائه في المعاجم ، ولعل حنينه إلى حياة البداوة القديمة جعلها كذلك ، أو ربما رغبته لاستمالة السامع الذي كان لا يقبل حينها بأي قصيدة ليست لها هوية وجذور، أو استعراضا منه لعضلاته اللغوية وثقافته الموسوعية واستغلالها لتقديم نفسه ، وعموما فالقصيدة في جملتها هي امتداد للقصيدة الجاهلية( حيث جعلنا نشمّ فيها رائحة المعلقات) ، فنجده لم يخرج عن الإطار العام الذي رسمه الأوّلون ، ونادرا ما كان يتصرف في الخطوط والألوان ، ونجد حضورا بارزا لمعجم الطبيعة وما اتصل بها أثناء وصفه للأطلال ، وهو ما يوضحه الجدول التالي[19]

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| **حقل الأرض** | | **الرمت** | مرعى الإبل وفاكهتها | **الهيثم** | الصقر / فرخ العقاب أو النسر |
| **النوى** | المسافات البعيدة | **الخلة** | الحلو من النبات، خبز الإبل | **عكرمة** | ذكر الحمام |
| **الفج** | الطريق الواسع | **السعدان** | نبات له شوك | **الخرنق** | الفتى من الأرنب |
| **الفلاة** | الصحراء الواسعة | **الثغر** | نبات من أفصل العشب | **الرئم** | الضبع |
| **الفدفد** | الأرض المستوية | **الشرى** | الحنظل ، نبات طعمه مر | **الحباحب** | ذبابة تطير بالليل |
| **الفرق** | المكان المستوي | **السنا** | نبات له منافع | **حقل المـــاء** | |
| **الأبطح** | المكان به رمل وحصى | **السمسق** | الياسمين | **عُبُور** | قطع النهر |
| **الأجرع** | الرملة المستوية | **العشر** | شجر فيه حُراق | **جعفر** | النهر الكبير |
| **الأجزع** | منقطع الوادي | **النشم** | شجر يتخذ منه القسي | **صعود** | الجبل |
| **الصريمة** | القطع من الرمل | **الإسحل** | السواك ، شجر له أغصان | **الصعيد** | وجه الأرض / البحر |
| **الأبرق** | الأرض الغليظة | **ثمام** | نبات ضعيف لا يطول | **الزلق** | الأرض الملساء |
| **حقل الريـــاح** | | **البهار** | نبات طيب الرائحة | **الدمع** | ماء العين |
| **السوافي** | تسفي التراب | **حقل الحـــيوان** | | **الخضخاض** | الطين المختلط بالماء |
| **الحراجيج** | الريح الباردة والشديدة ترمي الحصباء | **السمع** | ولد الذئب | **السراب** | ما تراه العين عند اشتداد الحر كأنه ماء |
| **الزحلق** | الريح الشديدة | **اليعقوب** | ذكر الحجل | **المطبق** | السحاب المطبق على الأرض / ما هو مغطى |
| **الهوجاء** | العاصفة | **القشة** | أنثى القرد | **رقراقة** | ما يتلألأ من البحر |
| **حقل النباتات البريـــة** | | **السيد** | الذئب / الأسد | **طما** | الماء المرتفع / الأمواج |
| **المرخ** | شجر رقيق يقتدح به | **السبنتي** | من صفات السيد / النسر | **السفين** | ما يرتحل فيه / النوق |
| **العفار** | شجر يتخذ منه الزناد | **القطا** | طائر يشبه الحمام | **ماخر** | شق الماء |
| **العضاة** | شجر عظيم له شوك | **جورق** | ذكر النعام | **زورق** | السفينة الصغيرة |
| **البشام** | شجر طيب الرائحة | **الليل** | فرخ الكروان | **هوج الرياح** | العواصف القوية |
| **الأثل** | شجر صلب يصنع منه | **النهار** | فرخ الحبارى | | |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| | الجفان | | | |
| **الخربق** | نبات ورقه أبيض وأسود | **الرئال** | ولد النعام | |

**2.5 وصف الناقة:**

لقد أحب العربي الحيوان وخاصة الإبل ، فهي التي اجتمع فيها ما تفرق في غيرها من الحيوانات ، فكانت الأم الرءوم للبدوي حيث رأى فيها نجدة وملاذا ومنبع ثروة ومصدر رزق ومحل إكبار وجاه بين الناس ، إذا حملت أثقلت وإذا سارت أبعدت وإذا حلبت أروت وإذا نحرت أشبعت ، كانت تُمهر بها النساء وتُحقن بها الدماء ويُعبد بها الله في السماء ، رفيقته في الفيافي والقفار والفلوات دون كلل أو ملل ، فكان من إطلاقاتهم : ضربت لك أكباد الإبل، ويقول ربنا أصدق القائلين: ﴿ **وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (21) وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ** ﴾.[20]

وليس غريبا أن يُحبها ويُعجب بها لدرجة تقاسمه فيها المشاعر ، وتشاطره الهموم ، يقول لبيد[21]:

**وكنت إذا الهموم تحضّرتني ** وضنت خُلة بعد الوصال**

**صرمت حبالها وصددت عنها ** بناجية تجلّ عن الكَلال.**

ويقول طرفة[22]:

**وإني لأمضي الهم عند احتضاره ** بعوجاء مرقال تروح وتغتدي.**

إن صحبة الشاعر الجاهلي للناقة وقيام حياته على وجودها ؛ كان من الأسباب الدافعة لهذا الفيض الزاخر من الشعر كرد للجميل واعترافا بالصحبة وأداءا للواجب ، ويكفينا دليلا على هذا الإهتمام أن نقول: " أن أربعة من شعراء المعلقات وصفوا الناقة في أكثر من مائة بيت وهم طرفة والنابغة والأعشى ولبيد[23] ".

لقد فتنت الناقة الشاعر العربي وخاصة البدوي ، فوقف يتأملها ويردد بصره فيها وما أكثر ما اقترب منها يحدق فيها ويُسرف في التحديد ثم يصفها عضوا عضوا ، ويمتد به الإسهاب أن وصف طباعها وخوالج صدرها ، فناجاها وتسمّع لشكواها حتى غدا شعره معرضا ضخما للناقة شكلا ولونا وصفة بل وحتى نسبا .

ومن العادة أن " يصف الشاعر الناقة بعد بكاء الديار والغزل أو التوجع من الدهر ، ولم يكن التحول إلى الناقة سهلا و لا هينا ، ولكن الشعراء توسلوا إليه بالحزن والحب والفرار من الديار المهجورة واللحاق بالأحباب الراحلين ، والضيق بالدهر والرغبة في رؤية الممدوح[24] " .

وقد استفتح ابن الونان أرجوزته "بوصف الإبل التي تحملوا عليها والبيد التي تعسفوها ، ولوم الحادي على جدّه السير ليلا نهارا حتى أضر بالإبل ضررا بالغا ، وتذكيره بمن يحملن على ظهورهن من النساء اللاتي لا طاقة لهن بذلك السير العنيف ، وإظهار شديد العطف على هذه الإبل حتى تبرع بالريادة لها والقيام عليها أحسن قيام[25] " ، فيقول مثلا يعاتب الحادي الذي أتعب النوق [26]:

**وَكَمْ بِسَوْطِ البَغْيِ سُقْتَ سُوقَهَا ** سَوْقَ المُعَنِّفِ الَّذِي لمْ يَتَّقِ**

**حتَّى غَدَتْ خُوصاً عِجَافاً ضُمَّراً ** أعْنَاقُها تَشْكُو طَوِيلَ العَنَقِ**

**مَرْثُومَةَ الأَيْدِي شَكَتْ فَرْطَ الوَجَا ** لكنَّهَا تَشْكُو لِغَيْرِ مُشْفِقِ**

**قدْ ذَهَبَتْ منها المَحَاسِنُ بِإِذْ ** مَانِ السُّرَى وقِلَّةِ التَّرَفُّقِ**

**كأنَّها لمْ تَكُ قبلُ انْتُخِبَتْ ** منْ كُلِّ قَرْوَاءَ رَقُوبٍ فُنُقِ**

**دَوْسَرَةٍ هَوْجَاءَ وَجْنَا ما بِهَا ** مِنْ نَقَبٍ ومنْ وَجًى وسَلَقِ**

**منْ بَعْدِ مَا كَانَتْ هُنَيْدَةً غَدَتْ ** أكْثَرَ منْ ذَوْدٍ ودُونَ شَنَقِ .**

ويضيف قائلا [27]:

**رِفْقاً بها قدْ بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبَا ** واتَّسَعَ الخَرْقُ على المُرَتِّقِ**

**وَهَبْ لأَيْدِيهِنَّ أيْداً وَلَهَا ** مَتْناً مَتِيناً ما خَلا عنْ مَصْدَقِ**

**فَمَا لِظَعْنٍ حَمَلَتْ منْ مَرَّةٍ ** بِظَعَنٍ أَوْدَى بها في الغَسَقِ**

**أَسَأْتَ لِلْغِيْدِ ولِلنَّوْقِ وَلِي ** إِسَاءَةً بتَوْبَةٍ لمْ تُمْحَقِ .**

وعموما كان لمعجم الإبل حضور متميز ، وهو ما يوضحه الجدول التالي[28] :

| | | | |
|---|---|---|---|
| **فرواء** | طويلة السنام | **النقب** | خف البعير |
| **رقوب** | لا تدنو من الماء | **الوجي** | مرض يصيب رجل الإبل |
| **قُنق** | فتية منغمة | **الهنيدة** | المائة من الإبل |
| **هوجاء** | حمقاء | **الذود** | ما بين الثلاث والعشرة |
| **وجناء** | عظيمة الوجنتين | **الشنق** | ما بين العشر والعشرين |

**نتائج البحث :**

وقد توصلنا من خلال بحثنا هذا لعدة نتائج نذكر منها :

– النظم قول موزون مقفى جاء لتيسير العلوم والمعارف الإنسانية وحفظها ، لما تميّز به من خصائص أهّلته لذلك.

- كان وصف الطلل و الناقة من أكثر تجليات الوصف في أرجوزة ابن الونان .

- جاءت الأرجوزة غنيّة بروافد الثقافة العربية الإسلامية المتنوعة ، حيث حوت كثيرا من فنون الأدب وأخبار العرب.

- كانت الأرجوزة عملا إبداعيا ظريفا ، دلّت على براعة صاحبها وشاعريته وعبقريته في استلهام الثقافة العربية الإسلامية.

**الهوامش:**

[1] مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، ط3 ، 1974، ص119 .

[2] ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ت : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الرشاد الحداثية ، المغرب ، ط5 ، 1981 ، ج2 ، ص294 .

[3] مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، مرجع سابق ، ص124-125 .

[4] شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ( عصر الدول والإمارات ) ، دار المعارف ، مصر ، ط1 ، 1995 ، ص432 .

[5] عبد السلام بن سودة المري ، دليل مؤرخ المغرب الأقصى ، دار الفكر ، لبنان ، ط1 ، 1997 ، ص299-300.

[6] عبد الله كنون ،شرح الشمقمقية ، دار الكتاب اللبناني ، لبنان ، ط5 ، 1979 ، ص3-9 .

[7] محمود شكري الألوسي ، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط1 ، 2009 ، ج3 ، ص11 .

[8] سامي أبو زيد ، قراءة نقدية في شعر ابن الومي ، دار عالم الثقافة ، الأردن ، ط1، 2012 ، ص528 .

[9] سليم ابراهيم صادر ، جواهر الأدب من خزائن العرب ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط1 ، 2009 ، ج1 ، ص65 .

[10] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، شرحه محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط1 ، 2013

[11] أبو منصور عبد الملك الثعالبي، أبو الطيب المتنبي ماله وما عليه ، ت : محي الدين عبد الحميد ، مكتبة الحسين التجارية ، مصر ، د . ط ، د . ت ، ص53 .

[12] ديوان جرير ، ت : عمر فاروق الطباع ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، لبنان ، ط1 ، 1997 ، ص237 .

[13] هنية علي الكاديكي ، الرجز تطوره وعلاقته بالقصيد في العصر الأموي ، منشورات جامعة قابوس ، ليبيا ، ط 1 ، 2008 ، ص251 .

[14] الأعلم الشنتمري ، أشعار الشعراء الستة الجاهليين ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، د . ط ، 2001 ، ص189 .

[15] الخطيب التبريزي ، ديوان عنترة ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، ط1 ، 1992 ، ص112 .

[16] هنية علي الكاديكي ، الرجز تطوره وعلاقته بالقصيد في العصر الأموي ، مرجع سابق ، ص254 .

[17] عبد الله كنون ، شرح الشمقمقية ، المرجع السابق ، ص151 .

[18] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

[19] فتيحة عبد العالي ، الأرجوزة الشمقمقية لابن الونان ، دراسة صوتية معجمية ، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في تخصص الدراسات الجزائرية في اللغة والأدب ،كلية الآداب واللغات ، جامعة أحمد دراية ، أدرار ، الجزائر ، 2017 / 2018 ، ص228/227 .

[20] سورة االؤمنون ، الآية 20-21 .

[21] حسن جعفر نور الدين ، لبيد بن ربيعة حياته وشعره ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط1 ، 1990 ، ص76 .

[22] ديوان طرفة ، مهدي محمد ططناصر الدين ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط3 ، 2002 ، ص20 .

[23] هنية علي الكاديكي ، الرجز تطوره وعلاقته بالقصيد في العصر الأموي ، مرجع سابق ، ص288 .

[24] المرجع نفسه ، ص63 .

[25] عبد الله كنون ، شرح الشمقمقية ، المرجع السابق ، ص9-10 .

[26] المرجع نفسه ، ص152.

[27] المرجع نفسه ، ص153 .

[28] فتيحة عبد العالي ، الأرجوزة الشمقمقية لابن الونان ، دراسة صوتية معجمية ، مرجع سابق ، ص228 .